بحث بعنوان

النسقوية الجديدة وما بعد الإنسانية:

مقاربة جديدة

اعـداد

أ.د/ شحاتة صيام

رئيس قسم العلوم الاجتماعية

كلية الخدمة الاجتماعية

جامعة الفيوم

تمهيد :

يعتبر " لومان " أحد علماء الاجتماع الألمان المبرزين الذين حاولوا تجاوز ما قدمه الآباء المؤسسين (مثل دوركايم وهربرت سبنسر وبارسونز) من أجل تقديم نظرية جديدة أسماها "النقدية الجديدة" أو "ما بعد الانسانية"، تلك التى تحاول من خلال التوكؤ على الاستنادات والاطروحات الكلاسيكية، أن توشج الروابط مع نظريات ما بعد الحداثه، وهو ما يتمظهر بوضوح فى تفعيلها لمفاهيم ونظريات اللغه والنص والخطاب والفعل التواصلي والنظام الحي وموت الذات

ويعد "لومان " المؤسس الحقيقي لنظرية الأنساق في ثوبها الجديد، التي تخطت تقاليد المدرسة الكلاسيكية للأنساق خاصة ما يرتبط بتعيين طبيعة التمايز بين الفئات الاجتماعية والأجزاء المكونة للكل الاجتماعي. فإذا كانت نظرية الأنساق التقليدية ترى أن الكل النسقي ينقسم نإلى أنساق فرعية أخرى، فإنها لدى "لومان" هي محاولات جزئية تعمل وفق منطق ذاتي مستقل يتم عبره ومن داخله صياغة المعايير والقواعد الخاصة به، التي تعمل على إنتاج العناصر التي تشكله، ومن ثم إنتاج وتسيير ذاته دون إعتماد على المجالات الأخرى.

ومع أن ما سبق يشكل نقطة إختلاف جوهرية بين الشكل الكلاسيكي والمحدث في نظرية الأنساق، فإنه أيضًا يتباين عن طبيعة الاستناد إلى العلاقة بين المجالات المكونة للمجتمع والبيئة، وكذا في الإستناد إلى المنحى التجريبي، ذلك الذي أدى بعلم الاجتماع إلى إصابته بأزمات معرفية. إن الإطاحة بالمنهج التجريبي في دراسة واقع المجالات المختلفة المكونة للمجتمع، يجعل "لومان" يستند إلى ما حاول غيره من مفكري ما بعد الحداثة أو ما يسمى بالحداثة المتأخرة، أو السائلة خاصة ما يرتبط بالمعاني التي تضمها المفاهيم في سياق إستعمالاتها، فضلاً عن تكوين البنى الذاتية أو تنظيمها داخليًا ورفض عملية الاستراد من الخارج، والإستناد إلى الحاضر وليس الماضي الذي يتم من خلاله الإنطلاق.

لقد جاءت هذه المقاربة الجديدة نتيجة للإحساس بعجز الرؤى الكلاسيكية عن تقديم الجديد، فضلاً عن عدم فهم واستيعاب ما يحدث من تحول فى المجتمعات الإنسانية. إنه فى إطار هذه المراجعه، فقد راح " لومان " ينظر إلى الإنسان فى ضوء فهمه و شعوره بالواقع وسعيه الحثيث إلى تكوين شبكات التواصل، تلك التى تلعب أدوارًا متمايزه فى إعادة إنتاج الذات، واستنساخ عناصر جديدة فى البيئة المحيطة.

إنه بحسب ذلك، فإننا نكون بصدد ثورة معرفية جديدة، تحاول أن تعيد للطابع الذاتى مكانته، وتمنحه القدرة على فهم الداخلى والخارجى للانسان فى آن، ومن ثم جعل الذات إطاراً مرجعياً لذاتها، وهو ما فرض عليها أن تبحث عن المعانى واللغة وطبيعة الفهم، التى من خلالها تتشكل العملية الاتصالية بين الانسان والآخر والبيئة والشبكات الاجتماعية التى تهيكل وجوده المعاش.

وإذا كنا قد ذكرنا قبل قليل أن " لومان " قد تجاوز الآباء المؤسسين للسوسيولوجيا، فإنه فى الوقت عينه لم ينفك عنهم ويتخلص نهائيًا من أفكارهم، ودلالتنا هاهنا أن أفكاره تأتى مفعمه بمنطق وفكر ونكهة هربرت سبنسر ودور كايم وفيبر وهيجل، وهو ما نمسكه عليه في أرومة المفاهيم التي هيكلت نظريتة ، خاصة المرتبطة بالنسق، ناهيك عن تشخيصه لمفهوم البنية الاجتماعية فى ضوء مفاهيم التمايز والاختلاف والشبكات وموت الذات والتواصل والفهم واللغه، وهو ما سنحاول تفكيكه على طول هذه الورقة.

أولاً : البيولوجيا وما بعد النسق:

بداية يمكن الدفع بأن ثمة إستنادًا وإعتمادًا واضحًا من قبل ما بعد النسقوية على ما يسمى بنظرية الأنظمة الحية، تلك التي تحاول إحياء وإعادة الإعتبار لمفهوم "التنظيم الذاتي"، الذى يقوم بدوره بنسخ وإعادة إنتاج الذات في ضوء وظروف بيئته المتغيرة، والذي يعود الفضل في تقديمها وصياغة أفكارها ومنطلقاتها النظرية إلى عالمي الأحياء أميرتوماتورانا A.Matnram وفرانشيسكو فاريلا F.Verela (*) اللذان حاولا تقديم إجابة شافية عن التساؤل المحوري الذي تستند إليه النظرية ومفاده : ما الحياة ؟ ، أو ما الذى يميز الكائن الحى عن غيره؟ . والحال أنهما حينما شرعا في تقديم إجابة عما تقدم ، فإنهما أبلغا في عبارة قصيرة تفيد أن الكائن الحي يستنسخ نظامه الداخلي بطريقة ذاتية، وهو ما يحدث بالطبع بصورة متكررة أو روتينيه في كل حين(١) .

إن المتأمل فى الإجابة السابقة، يجدها تأتي للكشف عن طبيعة العناصر الداخلية المختلفه التى تكون النظام، وتجعله يعمل بطريقة دائمة على إنتاج نفسه من نفسه، وهو ما تفعله الخلايا الحية فى داخل الكائن الحى من خلال عملية الفهم والتواصل، وتحديدا من خلال البروتينات والدهون وغيرها التى يتم استيرادها من الخارج . فعملية الانتاج أو إعادة الانتاج فى داخل الكائن الحى، تتم عبر الخلايا الحيه التي تستند إلى شبكه من التفاعلات لإنتاج الجزيئات الخاصه بالمشاركه والتفاعل والإستمرار والبقاء. وحيث أن ذلك هو ما

يتناقض مع المفاهيم الكلاسيكية للانسان، إذ لا يتم إنتاج العناصر المكونة لها من خارجها، فإنه فى إطار هذا الفهم فإن عملية إنتاج أو نسخ النظم الحيه تتم من خلال ذاتها، اذ تعتمد على الداخل والخارج في آن(٢).

إنه وفق ذلك فالنظم الحية هى نظم غير مفتوحة بالمعنى الكلاسيكى، اذ تجعل الخلايا الحية بداخلها تعتمد على الإتصال فيما بينها، وتحديدًا على الطاقة الداخلية وعمليات الاتصال مع البيئة ، وهو ما يجعلنا بصدد انفتاح أو اتحاد الداخلي والخارجي، ذلك الذي يؤثر بشكل فعال على جعل المرجعية الذاتية تلعب دورا محوريا فى ازالة كل التوترات والاضطرابات الداخليه التى تحد من عمليات الفهم والتأثير والتواصل بين كل أعضاء الشبكة الاجتماعية (٣).

إنه حسب ذلك، فإننا يمكن القول أن نظرية النظم الحيه تميز بوضوح بين عملية الاستنساخ والاستفاده من وجود البنى أو النظم الأخرى التى تعمل من أجل البقاء على قيد الحياة ، ومن ثم تعمل على انتاج مزيد من العناصر أو الجزئيات التى تساعد على إعادة انتاج أو بعث الخلايا الميته ، وهو مايجعل الاستنساخ وفق هذا المعنى يعمل بشكل مستقل و دوماً على تعديل تفاعل العناصر المكونة للشبكة الداخلية فى ضوء ما يحدث من تأثير فى الخارج .

وأحرى بنا أن نسجل هنا أن النظرية الراهنة وفق طبيعتها السابق الاشارة اليها تستند على ثلاثة أنواع من النظم الحية، وهى : الذات والمجتمع والشبكات ، تلك التي بدورها تستند على مجموعة أخرى من العناصر المهمة التي تلعب دوراً محورياً فى بقائها على قيد الحياة (مثل: الأفراد واللغة أو الفهم والمعلومات) ، ومن ثم تساهم فى تفعيل عملية الإنتاج الذاتى أو إستنساخ النظم الاجتماعية و نقل المعانى والرموز وتوصيل المعلومات داخلياً وخارجياً.

ففى ضوء العملية التواصلية التى تقوم الذات بها ، فانها تقوم بعملية فك الرموز وتأويل المعنى ، لإحداث الفهم والتواصل بين الآخرين وهو ما يطلق عليه "بالتذاوت" ، الذى من خلاله يتم التميز بين الكلام والمعلومات ، وبالتالى تكون الذات قد فهمت الخطاب وأيدت رفضها أو قبولها للمعلومات التى يتم ضخها من خلال خطاب الآخر.

وحيث أن الذات بمقدورها أن ترفض أو تقبل التواصل ، فمن خلال شبكه من الاتصالات واستنساخ النظم الاجتماعية الاخرى، يتم رؤية العالم والسياقات المختلفه التى تحكم سيرورات العلاقات التواصليه، وهو ما يجعلها تلعب دوراً مهماً فى انتاج ذاتها بصورة

كلية ، ذلك مايجعل الإنسان فى هذا المقام مثله مثل بقية الانظمه الأخرى (النظام السياسى والاقتصادى ...الخ) ، يتسم بالديناميكية والتكامل ويسعى إلى ادماج ذاته فى ذاته والحفاظ على تفردها، وهو ما يحقق له الاستقلال الكامل(٤) .

إنه وفق ما تقدم، فإن "لومان" في هذه الحالة أراد أن يخالف الفهم الوظيفى للانظمه، وهو ما يتبدى بشكل لافت فى الأطروحات الكلاسيكية للانساق أو التنظيمات، خاصة ما يتصل بطبيعة العوامل التكوينيه التى تلعب من وجهة نظره دوراً متمايزاً فى تعزيز عملية التواصل. فبعيداً عن استبداد العوامل الغريزيه، فإن المعلومة والخبر والفهم والانعكاس تفرض نفسها فى أحداث النمو والتطور والتغيير المستمر، ذلك ما يسميه بمفهوم "قابلية التعزيز" الذى يرتبط بابتكار الآليات الجديدة للإختلاف والصراع من أجل تكريس عملية التكامل ورتق التناقضات فى النسيج العام للحياة (٥) .

وإذا كان يظهر من كلام لومان أن التواصل في هذا المقام يستند على الاختلاف، وإن الصراع يحضر بقوة للحافظ على استمراره وعدم إندثاره وهو ما يدعوه "بالاستقرار الدينامى"، فان التواصل لا يستند بالتالى إلى مبادئ انطولوجيه، ولا يسعى إلى إيجاد الاجماع، وانما يستند على التباين بين المعلومة والتواصل الذي ينتج عنه الاختلاف.

وباعتبار أن لومان يركز على "الاستقرار الدينامى" الذى تخلفه عملية الصراع ، فإنه من غير خاف أنه يركز أيضًا في السياق ذاته على القيم الذاتيه الفرديه، التى من خلالها يتم اعلاء شأن الفكر النقدى الذى يخضع كل شئ فى المجتمع للتمحيص والمراجعة ، بهدف تفعيل القرارات العقلانية وتحقيق الاستقرار، ومن ثم خلق وتأسيس وتعميق الشبكات بين الأفراد، وهو ما يسميه هو "بالإجتماعى" (٦) .

وإذا كان لومان وفق ما تقدم يساوى بين الفردى والاجتماعى، فإنه يشدد في الوقت عينه على ضرورة تفعيل ما يسمى "بما بعد التفكيك" في تناولنا للأشياء، الأمر الذي يفرض أن يكون التطور الذاتى هو الأساس والمسئول عن نمو الانظمه الاخرى، وبالتالي يكون الانسان بمثابة "الانا المنظم" الذى يربط ذاته بالنظم الأخرى لتوليد السلوك التوافقى، وتحويل الاضطرابات بطريقه انعكاسيه إلى نوع من الاستقرار، وهو ما يتم عن طريق الدماغ والشبكة العصبية (٧) .

ولما كانت عملية التواصل التي تمارسها "الأنا" هى لُبْ التفاعل بين الناس والشبكات، أو قل انها التى تربط الانسان بالانسان منذ خضوعه لعملية التطبيع الاجتماعى

Socializationالأولى، فإن اللغه المشتركه تعد الآلية التي تقوم بدمج الناس مع بعضهم البعض، إذ تشكل إطاراً مرجعياً للانظمه المغلقه داخل الذات، وتفسير الأحكام المختلفة وتنظيم الاتصال بين الذوات الاجتماعية، فضلاً عن اضطلاعها بمجموعة من الوظائف الاجتماعية المختلفة فى إطار الشبكات الاجتماعية، وهو مايجعلها تلعب دوراً وسيطاً بين الطبيعة والثقافة، وتشكل الآلية المحورية لدمج الأفراد فى إطار الوجود القائم، ذلك مايجعلها على حد تعبير "انتونى جيدنز" أنها تعمل خارج الزمان والمكان (٨).

إذن حسب ما تقدم، فاللغة باعتبارها إليه للتواصل في إطار نظرية ما بعد النسق، فهى تعد من النظم الرئيسة التى تتمتع بالرمزية وتتسم بقدر كبير من الحرية، إذ من خلالها يتم تأسيس شبكة من الإختلافات خاصة فى سياق عملية التبليغ والفهم وتقديم المعانى، وهو ما يفرض بالتالى ضرورة توفر عملية التأمل والتأويل التى تحدث فى داخل الذات البشرية اثناء عملية التواصل(٩).

ومن الأهمية بمكان أن نعي أنه في إطار عملية التواصل لابد وأن نميز بين ما هو تواصلي وما هو ليس كذلك. أو بمعنى آخر أنه إذا كان التواصل يجسد القدرة على التفاعل، فإنه أيضًا يضمن وجود الإختلاف بين النسق والبنية، وهو ما يفرض علينا أهمية التمييز بين المرجعية الذاتية والمرجعية الغريبه. فإذا كانت المرجعية الاخيرة تتحدد في المعلومة ، وأن المرجعية الذاتية تتمثل في وظيفة التبليغ ، فإن التواصل يتحقق في الإخبار أو التبليغ عن شئ من خلال المعلومة ، وهو ما يجعل النسق في إطار المعاودة والتكرار، يسمح بإعادة الدخول إلى ذاته من أجل إستنساخ ذاته في ذاته، وبالتالي تمسي عملية التواصل فعلاً داخليًا، تنتفي في إطاره عملية الخروج عن إطار النسق ذاته.

ولما كان التواصل في إطار هذه النظرية لا يتأسس على مبادئ أنطولوجية ولا يهدف إلى الإجماع ، فإنه بالتالي يعد رؤية أو لعبة ليست ذاتية تستند على الإختلاف بين المعلومة والتوصيل، وتهدف إلى تحقيق التواصل الذي ينتج الإختلاف والإجماع في آن ، وهو ما يجعله ليس فعلاً ، وإنما الوحدة الأولية للتأمل والوصف الذاتي للأنظمة الإجتماعية، التى تتمفصل فيه ثلاثة عوامل هي: الإخبار والخبر (أو المعلومة) والفهم. تلك التي تعد منتجًا للعناصر الأساسية في الأنظمة الإجتماعية، التي لا ترتبط بعناصر الإرسال والإستقبال التي تشكل سلطوية أو قل علاقة عمودية في الوجود المعاش.

وحيث هو كذلك، فهو لا يأتى من خلال طرف واحد ، وإنما يمثل علاقة بين متغيرين أو أكثر، تعمل في نهاية الأمر إلى الإجماع والإمتناع ، الذي هو في التحليل النهائي علاقة تعسفية وإخضاعية من طرف على آخر. إذن نفهم من ذلك أنه لا تواصل بدون إختلاف، لأن الإنكماش على الذات والتقوقع بعيدًا عن الآخر خوفًا من الوقوع في مغبة التدني والإنكسار ينفي وقوع التواصل . أو بمعنى آخر ، إنه لما كان لا وجود لـ "أنا" دون وجود "أنت" ، فإن العلاقة بينهما تفجر عملية التواصل ، تلك التي لا تتم إلا في وجود خطاب معين (١٠).

وإذا كان النسق يقوم بعملية التواصل وفق عملية المعاودة والتكرار، فإنه بالتالي تكون له القدرة على "معاودة الدخول Reentry" في تركيبة الذاتي، وهو ما يجعلنا نميز هنا بين ثلاث مرجعيات الأولى داخلية والأخرى ذاتية والأخيرة خارجية. فالنسق يستطيع أن ينتقل من حالة إلى حالة، أو من جهه إلى أخرى في كل وأي لحظة، وهو ما يتم من خلال عمليات داخلية تنفي عملية التأرجح بين المرجعية الذاتية والمرجعية الغريبة، وهو ما يتضح بالطبع في عملية إتخاذ القرار التي تلعب الذات داخليًا وظيفة المراقب على هذا الأمر(١١).

وحيث أن هذا البعد يحمل حالة من اليقين، وهو ما يتم عن طريق تفعيل مفهوم الفعل المنعكس الذى تؤديه الشبكة، فإننا نكون هنا بصدد إطلاق للعوامل الداخلية حتى تلعب أدوارها الفاعلة فى عملية التحليل. فمن خلال المراقبة والاستعارات والرموز والتمثل والتمثيل يتم تأسيس القواعد المرجعية والبناء النظرى للمعنى لدى المشاركين فى العملية الاتصالية، والتى تحضر المراقبة فيها بشكل جلي، لتعزيز عملية التواصل وإبلاغ المعلومات وانجاح الفهم وتحقيق الممارسة الحقيقية، وهو ما يجعل البعد الخارجي حاضرًا في هذا الوضع(١٢).

إن المدقق فيما طرحناه قبل قليل، يجد أن النظرية الراهنة تستند مثلها مثل بعض نظريات مابعد الحداثة إلى الجوانى واللغة كركائز أساسية، إذ من خلالهما يتم التفاعل وعملية الابلاغ والفهم. فاللغة بحسبانها ظاهرة اجتماعية لا تعتمد على الكلام ودلالاته وحسب، وإنما على نقل الافكار وابلاغها، تلك التي تتزامن مع العمليات النفسية الداخلية، وتسعى إلى خلق واستنساخ النظم الاجتماعية، وهو ما يجعل الاجتماعي ها هنا يتضاد مع النفسى. وحيث أننا هنا حسب "لومان" نمايز بين ما هو داخلى وما هو خارجى، إذ يرتبط الأول بالنفس، والآخر يرتبط بالبنية، فإن تدفق المعلومات والتواصل يساهم في تشكيل النظم الاجتماعية الأخرى، فضلاً عن إستنساخ النظم الفرعية، إذ تكون اللغة هى البطل والفاعل

المحوري في تشكيل الوعى وإعادة إنتاج الذات لذاتها، وأخذ القرارات الإنسانية، وهو ما يجعلها لا تنفض يديها من مسألة الإحتمالات فى إطار مفهوم الصح والخطأ (١٣) .

ولئن كان القرار وفق الفائت، يعد شكلاً من أشكال التواصل، فإننا نشير إلى أنه يحمل معنى ثنائياً، الأول هو البلاغ والآخر هو التقرير. ولما كان البلاغ يتعارض مع القرار الذى هو اختيار بين بدائل ممكنه من أجل تحقيق الانتظام والاستقرار، وبالتالي فهو منوط بتحقيق وظائف محددة، فإن الأول يأتي تتمة للثاني من أجل فرض "اليقين" الذى يفرض ذاته على القرارات وما بها من معلومات حقيقية(١٤) .

ومادام القرار يقوم بالوظائف المشار إليها قبل قليل، فإن " لومان" يطرح تساؤلاً مركبا آخرًا مهماً مؤداه : من المسئول عن اتخاذ القرار فى داخل التنظيم، وهل هذا القرار يراعى فقط ما يثور بداخلها ، أم يلتفت أيضاً إلى ما تتعرض له المنظمة من أحداث فى خارجها؟. وللإجابة على هذا التساؤل، فإنه في البداية يدفع بضرورة مراعاة توقعات سلوك الأفراد فى الداخل ، وما ينعكس على هذا السلوك من اختيارات وتأثيرات على الصعيد الخارجى؛ وهو ما يرتبط أيضاً بإختيار مجموعة من الآليات والطرائق التى تتناسب مع طبيعة وظروف المنظمة ، وطبيعة ابلاغ القرارات والمستويات التنظيمية التى تمر بها، ناهيك عن أهمية أن يأتى القرار متناسبًا مع طبيعة المكان (أفقيا ورأسيا)، ويراعى طبيعة المواقف والثقافة التنظيمية السائدة، وهو ما يفرض بالتالي ضرورة وجود ما يسمى بـ "البدائل الممكنة" التى من شأنها أن تعدل من طبيعة القرار وتطبيقه وظروف المكان والزمان والبيئة، ذلك ما يسميه لومان "بحساب التفاضل والتكامل" التي تفرضه عملية الادراك والملاحظة والمراقبة للاحوال الخاصة بالموظفين والعاملين والقيادة فى أى منظمة (١٥) .

وحيث أن "لومان" هنا يشدد على ضرورة المراقبه الداخليه والخارجيه على الفاعلين الثلاثة السابق الإشاره اليهم " تواً " ، فإنه يلح على ضرورة وجود خطوط اتصال قوية بينهم، وهو ما يمتن عملية الارتباط بينهم من جهة، وبين المنظمة من جهه ثانيه، والبيئة الخارجية من جهه ثالثة. ففي ضوء هذه العملية، فثمة مفهوماً آخراً يطرح نفسه، ذلك الذى يصفه "بالتمييز" أو الإختلاف في إنتاج "المراقبين" الذين من خلالهم يتم استنساخ القرار وتحقيق التواصل وإنجاز الأهداف (١٦).

وإذا كان التواصل فى إطار أى شبكة اجتماعية، يساهم في عملية إعادة البناء، فإن فكرة التفاعل الانعكاسى تأتي في هذا السياق "على عكس فكرة " المرايا " ، إذ تكون عملية

الاتصال غريزيه، بضمان أن يكون الفرد مشاركاً ومراقباً فى الوقت عينه، وهو ما يشدد عليه لاتور(١٩٨٨) وفولجار(١٩٨٨) اللذان منحا الذات البشريه القدرة على إيجاد المعنى والتكامل النشط أو المفرط ، ومن ثم يتباين في الوقت عينه عن مفهوم الفعل التواصلي لدى هابرماس(١٧).

ومع أن التفاعل التواصلي فى هذه العمليه يتوافق بشكل تام مع ما يحدث فى إطار مملكة النحل، فإنه يأتى لكى يحقق البناء وفق عملية غريزية بحتة ، وهو ما يتحقق فى ضوء وجود ثلاثة عناصر رئيسة هي: المعلومات والرسالة والفهم ، تلك التى تسمح بعملية استقبال وضخ المعانى ودورانها واتساع سقف التوقعات من خلالها؛ ومن ثم زيادة مساحة التفاعل بين الذوات الإنسانية أو ما يسمى بالتذاوت. فمحتوى المعلومات المتوقعه من الاخبار المتبادلة فى إطار الشبكات الاجتماعية، تجعل من اليقين أساساً مهماً فى تشغيل وتنظيم الأدوار بين عناصر الشبكة ، ناهيك عن جعل رد الفعل دائماً فاعلاً موجوداً ومتعقلاً، لكى يساهم دوريًا فى إعادة هيكلة النظام وتنظيم الأدوار ذاتياً، وتفعيل العلاقات الدينامية وهو ما يطلق عليه "بالفعل المفرط فى الانعكاس" الذى يضمن عملية تبليغ الاحداث والمعانى والتوقعات، ويجعل عملية التواصل تتم على صعيد الأخبار والمعنى (١٨).

ثانيًا: المعمار النظري للنسقوية الجديدة:

باعتبار أن كل تأويل هو تأويل مغلوط ، وأن الفاعل يصنع الشرط المناسب للتحقق الميداني من صدقه، فإن النظرية النسقوية الجديدة تأتى كجهد بنائي لتركيب معان جديدة وصادقة من خلال قراءات مفتوحة لفضاءات معرفية متعددة، ذلك الذى يجعلها تستند إلى مفهوم جديد للنسق يتباين عن المعنى الكلاسيكي له(١٩).

ففي إطار فهم وتناول "لومان" له فإن الفاحص له يجده يتباين عن مفهوم وطبيعة الأنساق الوظيفية ، أو ما يسميه هو "بالمجالات الإجتماعية الجزئية" التي تتحدد في نسق السياسة والإقتصاد والتربية والقضاء.... إلخ، ومن ثم يكون لكل منها وظيفة محددة ، مثل صيانة القواعد القانونية في النسق القضائي ، وإتخاذ القرارات الملزمة للجميع في النسق السياسي ، والقيام بعملية التبادل والتوزيع والإنتاج في النسق الإقتصادي . والملاحظ هنا أن بعد " لومان " عن الشكل الكلاسيكي لمفهوم النسق أو قل الشكل المعتاد له، جعله يتوكأ على مفهومات تتسم بالإتساع والإنفتاح والشمول مثل: التواصل والتمييز(الاختلاف) والتكوين الذاتي والمراقب والمراقبة والأنساق الإجتماعية والنفسية والبيئية(٢٠).

وفي إطار معانى المفهومات السابقة يسعى " لومان " للتمييز بين النسق والبيئة المحيطة . فحيث أن النسق يتكون من كل ما يحيط به، ويخلق حاجاته الذاتية ، ويتم التعرف عليه من خلال حدوده الذاتية، فانه لا يخضع للبيئة الخارجية ويستقل أيضًا عنها . أو بمعنى آخر أنه حينما يعتمد في بقائه على الغذاء الذي يأتي من البيئة الخارجية، فإن تطوره و نموه وبقائه يعتمد على ما يتم بداخله من عمليات (الدورة الدموية مثلاً) ، وهو ما يجعل النسق يتسم بالإنفتاح والإنغلاق في آن.

وإذا كانت النظرية النسقوية تعتمد على البنية الداخلية في تنظيم ذاتها، حيث تتسم بالإنغلاق، فإنها في الوقت نفسه تتمتع بحرية التصرف سواء في إطار الماضي أو الحاضر، وفي جلب ما يحقق صيرورتها وهو ما يجعلها منفتحة على الخارج الذي تتمايز عنه. إن قيام النسق بعملية التمييز بينه وبين البيئة ، وتحديد العمليات النوعية الخاصة، وهو ما يطلق عليه "بالإنغلاق العملياتي"، يجعله يتباين عن أصحاب نظرية النسق المفتوح. أو بمعنى آخر، أن النسق حينما يعتمد على ذاته في تفعيل عملياته داخليًا وليس على البيئة الخارجية كما يؤمن به أصحاب النسق المفتوح ، فإن عملياته من البداية إلى النهاية وتفاعلاته الجوانية تتم بشكل داخلي، وهو ما يصبغه بالإنغلاق(٢١).

ومخافة أن أكون قد إمتنعت عن التوضيح فيما تقدم فأرجو ألا يفهم البعض أن العلاقة بين البيئة والنسق منعدمة. فالحقيقة أن ثمة قنوات تربط بينهما، وهو ما يتحدد بالأساس نتيجة إختزال التعقيد الذي يكمن في تأثيرات البيئة على النسق أو ما يسمى بشروط "المعايشة" و "الفعل"، والتي وفقًا لشروطها يكون النسق الجزئي هو فاعل في النسق الأكبر، أو في مجموعة من الأنساق ، ومن وجهة أخرى يكون ذاته فاعلاً متفوقًا من الناحية الفكرية والمهارية والتخطيط فى النسق الواسع أو الأكبر(٢٢).

وإستكمالاً لطبيعة البناء المعماري لهذه النظرية ، يتبقى لنا أن نوضح أن " لومان " يمنح النسق القدرة أو "المُكنه" على بناء عملياته الذاتية، إذ وفقا لها يمنع استيراد أي شئ لبنائه ، وهو ما يجعل ذاته قادرًا على تشكيل البنى الذاتية له عبر عملياته وقدراته ، وهوما يعني أن التنظيم الذاتي هو الذي يوجد وحسب، ومن ثم هو الذي يحدد عملياته التاريخية والحاضره والمستقبلية (٢٣).

وحيث هو كذلك، وحتى يتم استخدام التنظيم الذاتي، فإنه يتم تفعيل مفهوم التوقع أو التنبؤ كأساس لتعريف وتأسيس البنى المعاشة أو الفعلية وإختزال التعقيد. فالنسق لا يستطيع

إنتاج عملياته الذاتية بعيدًا عن شبكة عملياته الذاتية التي هي من إنتاج عملياته الداخلية التي يقوم بها. وباعتبار أنه ينتج ذاته فهو لا يقوم بإستيراد أية عملية من البيئة ، ذلك ما يجعل عملية إنتاج الخلايا والعناصر المكونة له تتم بشكل دائري ، وهو ما يحدث من خلال ما يسمى "بالتطبيق الذاتي أو الممارسة الذاتية Auto praxis[٢٤].

وإذا كان أي نسق يقوم بإنتاج خلاياه وعناصره المكونة له ، فإنه ينتج أيضًا نظامًا للتشويش على ما يصاب به من إرتباكات أو خلل، وهو ما تقوم به المعلومات التي يتم إنتاجها بطريقة ذاتية من جوانبه النسق ذاته . فبإعتبار أن النسق يحظى بقدرة ذاتية على التكوين المنظم ، ومن ثم إعادة الإنتاج ، فإنه ينتج على الدوام عملية الترابط البنيوي الذي يتعامد مع التكوين الذاتي لكى يتخذ كل الأشكال الممكنة ، أو قل لإحداث ما يسمى " بالتوافق " في داخل الكائن الحي .

وباعتبار أن الترابط البنيوي يحدث التوافق في جوانية الكائن الحي، فإن هذه العملية تتحقق وفق نحوين ، الأول حينما تختفي عملية الترابط البنيوي داخليًا، والآخر يترتب على الأول إذ يتم بطريقة إنتقائية، حينما يستشعر النسق بإختفاء الترابط بالأساس. وأحرى بنا أن نسجل هنا في إطار هذه العملية يتم الإستعانة بأشياء ويستغنى أو يقصي عناصر أخرى بما يخدم بقاء أو الحفاظ على النسق. ولئن كان ما سبق يشير بشكل مباشر إلى عملية إختزال التعقيدات أو التشويشات أو إزالة القلاقل التي تهدد النسق ، فإنها بصورة مباشرة تساهم في تعيين الترابط البنيوي، وهو ما يتم من خلال عملية الوعي واللغة والتواصل الإجتماعي.

وحيث أن " لومان " هاهنا يربط بين مفهوم التشويش وتحقيق التوازن مثله مثل الكلاسيكيين ، فإنه في الوقت عينه يختلف عنهم ، إذ يستخدم المفهوم في معالجة المعلومات التي من خلالها يتم إبعاد كل ما يعوق تفعيل التفكير والوعي وتحقيق التواصل ، و هو ما يفرض بالتالى على النسق أن يتحلى بالعقلانية التي هي في النسق ذاته وليس في العالم الخارجي . فالعقلانية هنا هي عقلانية العقل أو عقلانية التواصل[**]، التي حتى ينطلي عليها المفهوم ويتلبسه ، فلابد وأن لا يمنح البيئة (أو بما يحدث في البيئة) أي سلطة، ومن ثم لا يستجيب لإحداثها وفعالياتها، وهوما يعني بالأساس إلى إمكانية إستبعاد البيئة وضمها ووضعها فى الاعتبار في الوقت عينه [٢٥].

وإذا كان الكلام السابق يشير إلى ضرورة رفض الإنحباس وراء صورة وطبيعة البيئة الخارجية، فإن من الخطل أن ندير ظهورنا لها، وإنما يتوجب أن نعي ما يحدث فيها ومنها ،

وهو ما يضمن وجود أو حضور البيئة واستبعادها في الوقت عينه . ولكن حتى يحدث ذلك، فلابد وأن يتسم النسق بالرخاوة أو اللين ، وأن يرتبط فيها كل شئ بكل شئ، وأن يتحقق الإرتباط الجدلي الذي يجعل النسق توازنه ويجدد ذاته ويبحث عن الإستقرار ويبتعد عن الضغوط والتوترات ويحتوي الإضطرابات أو الخلل(٢٦).

ولما كان لكل إطار معرفي مجموعة من المفاهيم التي تمثل إطاره النظري وإستناداته وتوجهاته، فإن ثمة جهازًا مفاهيميًا جديدًا يتفتق عن التحول الذي أصاب هذه النظرية وجعلها تتباين عن الوظيفية التقليدية، ولعل أهمها:

١- مفهوم الأنتروبي Enteropie(***):

حتى يمكننا تبيان التطور الذي لحق بنظرية الأنساق ورسم حدودها في صياغة نظرية جديدة، فإنه من الضروري الإشارة إلى النظرية الموسومة بأنساق المراقبة أو السبيرنطيقا الجديدة New cybernetics(****)، التي من خلالها يمكن التمييز بينها وبين النظرية الكلاسيكية فيما يتصل بالخروج عن الخط التقليدي لها الهادف إلى تحقيق التوازن وحسب.

وحيث أن التوازن يشير إلى إمكانية وجود خلل واضح في النسق، فإننا نكون بحاجة إلى ضرورة تعيينه حتى يمكننا تنظيم العلاقة بين مكوناته لتحقيق الإستقرار، وهو ما يفرض أن نستبدل فكرة الأنساق المغلقة بأخرى لكي تكون مناسبة في تفسير أسباب غياب الأنتروبيا أو الإعتلاج، ومن ثم إستمرارية بقاء النظام(٢٧).

٢- مفهوم الزمن:

وفقًا لمفهوم الزمن يتم وصف المجتمع والنسب الزمنية وطبيعة الإختلاف بين المستقبل والماضي ، أو التمييز بين المتحرك واللامتحرك أثناء الفترة الزمنية عين الإعتبار، وهو ما يعبر عن الأشكال المستقرة أو المتحركة في إطار المجال الإجتماعي ، والذي عليه يمكننا أن نميز بين المستقبل والماضي والحاضر، أو ما يسمى بتفاضل دالات الماضي والحاضر والمستقبل، أو تعيين المسافة الزمنية بين الماضي والمستقبل وما يحدث بينهما من تباين.

إنه حسب ذلك، فإننا يمكننا إدراك الحاضر بحسبانه نقطة تحول أو فترة غياب عن فعل أي شئ، أو باعتباره ظرفًا حتميًا وزمنيًا قصيرًا يتيح تحقيق الفعل في إطار لم يأت بعد، ويسقط الزمن بشكل إنعكاسي [٢٨].

٣-مفهوم التواصل:

لا غرو أن التواصل يعد من المفاهيم الأكثر إهتمامًا وتجاوبًا وجدلاً في الثقافة الألمانية بشكل عام وعلم الإجتماع الألماني بشكل خاص، إذ يمثل لدى هابرماس ونيكولاس لومان نقلة براديجمية لوصف وتشريح البناء الإجتماعي، وهو ما يجعله مفهومًا يتسم بالتشويش والإرباك، خاصة حينما يتماس أو يترادف مع دلالات مفاهيم أخرى مثل الإيصال والإتصال والوصل والإبلاغ والإخبار والتخاطب والحوار. وبعيدًا عن كل هذه الإصطلاحات، فإن المقصود به هو ذلك النوع من التفاعل بين أكثر من شخص والذي يتم عبر الألفاظ واللغة والرموز والإشارات لنقل الخبر أو إيصال المعلومة بهدف إما إثارة التوتر أو تخفيف الصراع[٢٩].

٤- المراقبة :

يستطيع النسق أن يميز ذاته بذاته عن البيئة، وهو ما يولد عملية الإختلاف التي تتولد نتيجة وجود عمليات أخرى متسلسلة، تلك التي تتم عن طريق التواصل والترابط أو ما يمكن أن نسميه " بالمراقبة الذاتية " ، وهو ما تنتجه بشكل طبيعي عمليات التواصل اللغوي. وإذا كنا نتحدث عن المراقبة، فإن هذه العمليات تفرض وجود مراقب، الذي يمكن الوقوف على دلالاته من خلال المقطع التالي: "..... المراقب هو نسق يتكون عندما لا تكون عمليات كهذه مجرد أحداث مفردة ، بل تعاقبات بشكل مترابط ويمكن تمييزها عن البيئة..... إنها عملية لا تقع إلا بشكل طارئ وفي لحظة معينة..... إنه لا يظهر فوق الواقع ، ولا يحلق فوق الأشياء ، ولا ينظر إلى أعلى أو إلى ما حدث ، كما أنه ليس ذاتًا موجودة خارج عالم الأشياء ..... إنه يراقب عمليات..... وإنه بذاته عملية ، فلا وجود له إلا بوصفه عملية ، وهو كيان يتشكل من ترابط سلسلة من العمليات..... لا يمكنكم مراقبة أنفسكم بوصفكم

تقومون بالتمييز، بل يتعين عليكم جعل أنفسكم غير مرئيين عندما تريدون القيام بالمراقبة.... يجب أن تكون لديكم القدرة على القيام بالتمييز بين المراقبة وما يتم مراقبته ..... إنكم تراقبون شيئًا ما يختلف عنكم..... يتعين على المراقب أن يختفي..... النسق الإجتماعي يراقب أنساقًا نفسية ، والأنساق النفسية يمكنها أن تراقب أنساقًا إجتماعية....."(٣٠).

وحتى نستكمل فهمنا لكل الدلالات والمعاني المقترنة بمفهوم المراقبة ، فإننا ندفع أيضًا بأنه من الأهمية بمكان هنا أن يكون للمراقب مراقبين آخرين ، أي أن يكون غريبًا حينما يراقب نفسه ومراقبًا لذاته حينما يراقب نفسه إذ يتخذ من نفسه مرجعًا لنفسه ويحلل ذاته من ذاته وبذاته. وحيث أن ما سبق يجعلنا أمام نوع من المراقبة الداخلية (المراقبة الدنيا)، فإن هناك نوعًا آخرًا من المراقبة الخارجية (المراقبة العليا) التي تجعلنا في الوقت ذاته مراقبين للمجتمع ، شريطة أن تصف ما يحدث في كل جوانب المجتمع ، وهو ما يجعلنا بصدد إزدواجية في الوصف(٣١).

ولكي يمكننا أن نلم بكل أطراف المراقبة وطبيعتها، فمن الاهمية بمكان أن يتم مراعاة مراقبة آليات التخطيط وكيفية تحقيق ومراقبة حالات الاستقرار، وتعيين عمليات التعقيد ورصد عمليات المغايرة و تعيين المستويات المختلفة فيه ، ذلك الذي يجعل المراقب (النسق) جزء من عملية النسق ذاته ، وجزء مما يراقبه وأداة لمراقبة المراقبات (٣٢).

٥- مفهوم المعنى:

باعتبار أن المعنى وجود ناقص نحاول أن نجده ، فهو إنتقاء إجباري لمجموعة من فوائض الإشارات التى تدمغه وتوضحه، وهو ما يتجلى من خلال التأويل المرتبط بالمعنى والتفسير والتوجه إلى النص، الذي يحدده الإنتقاء الإجباري الذي يفرضه عملية التفسير. وحيث أن المعنى هو تقنية لا تتناسب مع مفهوم التعقيد ، حيث إدارة المعنى وإفهامه ، فإن الإختيار له يجعل المعلومة دون غيرها قد تم الإشارة لها بطريقة إجبارية.

إن المتأمل هنا لإختيار المعنى هنا يجده يتضمن نوعين من القهر ، الاول هو نوع من الوعي أو التواصل يجعلنا نسوق الحجج داخل ووسط المعنى وفق البعد الموضوعي الذي يتحلى به المراقب بطريقة ذاتية ، والآخر هو مايتغلغل إلى ما هو داخلي وما هو خارجي، وهو ما يكشف عنه كلام " لومان " ، إذ يقول: "..... فكل ما يتم التعرف عليه يمكن أن يتمايز نحو الداخل والخارج ، وهذا يتكرر في الداخل كما في الخارج بحيث نجد شيئًا في الداخل يمكن أن يدرس من داخل ومن خارج ، كما يمكن أن نجد في الخارج شيئًا يمكن أن يتمايز نحو الداخل والخارج ، إذ يمكننا هنا إنطلاقًا من الأنا والأنا الأخرى أن أفكر بأن أبدأ بنفسي ، ومن ثم أفكر بأنا " وأن الآخر بدوره " أنا " ، ويرى أنني " أنا " مختلف بالنسبه له ، إذ أنا موجود بداخلي بشكل مزدوج بوصف " أنا " أخرى...." (٣٣).

٦- مفهوم الأنساق النفسية الإجتماعية:

تتعارض عملية الفصل بين الأنساق النفسية والإجتماعية مع معقولية الخبرات التي يكتسبها الفرد في الحياة اليومية. فالأنساق تتحرك ذهابًا وإيابًا ، وهو ما يجعلنا نمايز بين إنغلاق العمليات والإنفتاح السببي ، الذي يجعل النسق نسقًا ذاتيًا من حيث المرجعية ، وبالتالي يحدث التوافق بين النظرية وفكرة التكوين الذاتي، أو ما نسميه بالترابط البنيوي بين النفسي والإجتماعي، الذى من خلاله يحدث التواصل الذي يتم تحفيزه بوصفه وعيًا ذاتيًا ، وتكون اللغة فيه هي الفارس في تحويل العالم الخارجي إلى وعي أو خبرة ، وهو ما يفعله بالطبع مايسمى بالإدراك(٣٤). إنه من خلال عملية التواصل بإعتبارها عملية إجتماعية قحه، نضمن الحضور المتزامن للتفاعلات النسقية والوعي بالكون الذي تكون له تضاعيف واضحة في الإبلاغ وإنتاج المعرفة الفائضة (الإسهاب) وتفعيل الإنتقاء، وكذا حدوث الفهم وتثبيت المعلومة، ينفي حدوث إغتراب الذات وتأسيس المرجعية الذاتية التي تتجلى في وعي الذات (٣٥).

ثالثاً : لومان والنظرية الاجتماعية .

بحسبان أن " لومان " أحد المنشقين عن روافد الفكر المثالي الألماني ، فأنه يقترب في قناعاته إلى مدرسة مابعد الحداثة الفرنسية ، وهو ما يتضح بشكل لا مراء فيه من موقفه المضاد من الأطروحات الكلاسيكية، وتحديداً من البنائية التقليدية والوضعية التى سيطرت

على العلم لآماد طويلة . وحيث هو كذلك، فإنه يتساوى مع مفكرى النظرية النقدية "مدرسة فرانكفورت" ، وخاصةً أبرز مفكريها المعاصرين مثل "يورجين هابرماس" الذى دار معه جدلاً طويلاً حول طبيعة وفحوى نظرية الفعل التواصلي ، و " دانيل بيل " الذى صك مفهوم مجتمع ما بعد الصناعة، و" بيك" صاحب مفهوم مجتمع المخاطرة ، و" ليوتار " الذي نحت مفهوم مجتمع ما بعد الحداثه (٣٦) .

وبيد أن " لومان " قد توشجت روابط نظريته مع مفكرى ما بعد الحداثه والحداثة المتأخرة ، إلا أنه لم ينفك عن أوائل السوسيولوجيين ، خاصةً أصحاب نظريات الفهم والنظريات العضوية والمشايعين للنظرية الداروينيه ، وهو ما سمح له بتقديم فهم جديد للمجتمع الانساني والذات البشرية بحسبانها واقع بيولوجى ونفسى يخضع للمراقبه الذاتيه والاستنساخ ، وينبذ الافكار المسبقه والافتراضات ، ويعج بالممارسات التي تنفي عملية انفصال الذات عن الموضوع .

ومع أن الطرح السابق يأتى فى إطار مخاصمة الوضعية التى تضع فاصلًا كبيرًا بين الذات والموضوع ، فإنه يفضح عن راديكالية واضحة ترتبط بالأحرى بما يسمى ما بعد الوجوديه التى تركز على ملاحظة الذات لذاتها ، والتشكيك فيما هو قبلى أو افتراضى ، ناهيك عن جعل الذات تقترب من الممارسة الذاتيه وتعيد إنتاج نفسها والشبكات الاجتماعية عن طريق الفهم فى سياق العمليات التواصلية .

وحرى بنا ان نوضح أن ارتباط النسقوية باالأفكار النظرية السابقة ، جعلها تفرق بين النظام الوظائفى (المرتكز العضوى) والنظام التطورى (المرتكز المسيحى – الهيجلى). فمن خلال افتراضاتها فإن لومان يرى أن ثمة تحولا طرأ على مفهوم النسق System الذى كان يتم فهمه وبحثه من خلال العلاقة بين الأجزاء المكونة للنسق وبين الكل الذى يؤلف المجموع. ففى إطار هذا التحول يتم فهم النسق بحسبانه علاقات بين النسق ذاته ومحيطه، وهو مافرض علية اشتقاق مفهومى رئيسيين هما التعقيد أو الترابط الاصطفائى بين عناصر البنية ، و التمايز أو إعادة إنتاج التمايز بين النسق ومحيطه فى داخل النسق ذاته.

أنه حسب هذا الفهم التطورى الذى يتأسس على التمايز والتنوع والتصنيف التراتبى ، فان " لومان " ينبذ المساواة بين الأنظمة الفرعية ، وهو ما جعله يستند على التمايز الوظائفى الذى ينظم التواصل والعلاقات بين الأنظمة الفرعية ، ومن ثم يجعل لكل نسق

فرعى وظيفة خاصة تميزه. ومع أن "لومان" يفرق بين هذه التمايزات الثلاث، إلا أنه يرى أنها غير مستقلة عن بعضها البعض، إذ تتداخل وتترابط ، الأمر الذى يجعل لوظيفة معينة أفضلية مؤقتة عن الأخرى، وبالتالى تمسى الذات الإنسانية نتاجا للمبدأ الوظيفى الذى يختزل التعقيد المجتمعى، و يصبح التمايز الوظائفى انتزاعا لكل معنى إنسانى .

ولئن كان " لومان " يكشف عن تمايز بنية النظام التي هي نواة مغلقة للهوية، وتنمو دون أى عائق ، فان قدرتها تصبح فائقة على الإستقلال والتكيف مع محيطها الخارجى الذى يأخذ صفة التعقيد على طول الدوام، وهو ما دفعه إلى وجود فروق ساطعة بين المعنى الفردي والمعنى الشامل، فبرغم أن الفردى هو جزء من محيط النظام أو الكل ، إلا أنه لا يتأثر بأطره المرجعية، وهو ما يجعل العلاقة بين المعنى (أى معنى النظام) ووعى الفاعل الاجتماعى غير متحققة(٣٧).

وحتى نستجمع كل خيوط وأفكار هذه النظرية، فإننا آلينا أن نشير إلى أن لومان يعتبر عملية العمل هي المجال العام والخاص فى آن لكل المؤسسات الاجتماعية، التي من خلال تفعيل الفهم فى داخل وجودها يكون الفرد هو الوحده المشكله له، والقادر على تحديد الهوية الخاصة بها، وما يطرأ عليها من تطور تاريخى، وتعيين الاحداث المتلاحقة ،وهو ما يفرض أهمية تفعيل الجينولوجيا للتمييز بين الوحدات فى ضوء حقبها الزمنية ، ناهيك عن رصد العمليات والأفكار والعلاقات المؤسسية التى تهيكل هويتها وتحدد طبيعة الشبكات الاجتماعية بها(٣٨).

إنه بقول آخر، أن " لومان " حينما يهتم بالبنيه الخاصة بكل وحدة، فانه يهدف من ناحية اخرى الى وضع القسمات التي تميز كل واحدة منها، وهو ما يسميه بالتنوع الانطولوجى أو الوجودى . وحيث هو يهتم بالتنوع والإختلاف ، فإنه فى الوقت عينه يضع نصب عينيه على ما يرتبط بالتمايز بين البنيات الاجتماعية ودلالاتها، تلك التي تجعل المجتمع _من وجهة نظره_ يتشكل من الأفراد الذين ينتمون إلى بنيات محددة، ومن العلاقات التى تسود بينهم ، وبعملية التواصل التى من خلالها يتجسد شعور الفاعل الذى يسعى على الدوام إلى الاختلاف .

أنه حسب هذا المعنى فإن " لومان " يرى أن أي ذات بشرية ترتبط جوانيًا بأى نظام اجتماعى ، وهو ما يعزز فكرة وجود خطاب يشترك فيه الناس جميعاً ، وبالتالى تكون المعانى نوع من الخلق والفهم فى آن، وأن الاخبار أو نقل المعلومات هى أساس التواصل

فى إطار الوجود المعاش. فباعتبار أن العلاقات التواصلية تفرض الأنشطة الانسانية ، فإن الناس يتفهمون شروط وجودهم وطرائق حياتهم وعلاقاتهم مع الآخرين ، وهو مالا يتأتى إلا من خلال التفكر والحوار والفهم لكل ما يدور فى المجتمع.

أن الرائى لهذه النظرية وفق ما تطرحه، لايستدل منها على أن النظام هو نتيجة لمعايير سابقة ، أوحتى محصلة تطور طبيعى فى المجتمع ، وانما هو تتمه لعملية الانعكاس الذاتى لطبيعة العلاقات مع البيئة المحيطه ، الأمر الذى يكون أى نظام فيه مستقل عن الآخر، بل ويتمايز عنه. وبيد أن الأنظمة تتباين عن بعضها نظراً لطبيعة عملية التواصل التى تتم بين الناس من جهة وبين البيئة المحيطة من جهة أخرى ، فإن " لومان " يذهب إلى أن البشر ماهم الا العناصر المكونة للنظم الحية التى تتأسس من خلال اللغه والتى عبرها يتم التواصل و ارسال المعلومات وتوقيع فهم كل منا للآخر (٣٩) .

إنه حسب المعلومة والفهم والفرد ، فان الشعور أو الإدراك وليس الوعى، هو البطل فى ذلك ، وهو ما يجعل الانسان مجموعة من النظم النفسية والعصبية التى تنسج العلاقة بين الإنسان وغيره والبيئة المحيطة، وهو ما يسميه " بالارتباط "، الذى يلعب التواصل فيه دورًا محوريًا، و يسأل دائمًا عن انتاج وإعادة انتاج القيم والأفكار والمعتقدات والمرجعيات الخاصة التى هى شرط من شروط الوجود الانطولوجى (٤٠) .

وحيث أن "لومان" يحاول أن يصك مفهوماً جديداً وشاملاً لعلم الاجتماع يتباعد عن الفهم الكلاسيكى للنظرية الاجتماعية حول مفهوم النسق ، وكذا عن مفهوم الاجماع الذى صاغه هابرماس(*****) ، فإن من خلال مايقدمه نجده يسعى إلى إسباغ نظريته بنكهه ثورية على صعيد المعرفة ، وهو مايتجلى فى اتخاذه من الفهم والمعلومات آليتين لتحول المجتمع الذي يعج بالتناقضات إلى آخر خال منه .

وبيد أن " لومان " يحاول أن يجد صيغة جديدة لعلم الاجتماع ويثور المعرفة العلمية من كل ماتقدم ، فإنه فى الوقت نفسه يريد أن يمنح البحوث الاجتماعية نظاماً خاصًا وذاتياً يتفارق به عن الأنظمة المعرفية الأخرى ، وهو ما يتحقق في الإهتمام ودراسة ما هو عام وخاص فى آن. وحتى يضطلع بهذه المهام فإنه يشدد على ضرورة أن يجعل الفكر والممارسة وحدة معرفية واحده تسعى إلى الكشف عن المعانى والدلالات التى يمنحها أى نظام لنفسه، ناهيك عن الكشف عن الوحدة العضوية بين أي نظام، وما يتمتع به من استقلال ذاتى وتمايزه عن بقية مكونات الأنظمة البنائية الأخرى. ولئن كان يشدد لومان على

الوحدة المعرفية لعلم الاجتماع، فإنه ينادى أيضاً بضرورة إعلاء شأن وظيفته النقديه ، وهو ما يتحقق بالضرورة من خلال إستدعاء الابداع والحرية وتجاوز الموروث وتفعيل مفهوم التفكيك ، الذي من خلاله يتم استحضار الذات مرة أخرى لكى تعين معنى الأشياء ودلالتها وتأتي بالجديد فى ضوء واقعها ووجودها المعاش.

وبإعتبار أن هذا الأمر هو شئ جديد، خاصة فيما يتمثل بإشاحة الشكل التقليدى لعمل علم الاجتماع والبحوث الاجتماعية ونبذ العمل مع الوقائع والملاحظات ، فإنه بذا يكون قد أراد أن يتحول العلم إلى الفهم الخاص بعملية الاخبار والمعلومة والعملية التواصلية والأدوار التى تفرضها الشبكات الاجتماعية والتوقعات ، تلك التى يلعب الفرد دور البطولة المطلقة.

وحتى يمكن للعلم الاضطلاع بكل الوظائف السابقة ، فقد منح " لومان " الذات وظيفة جديدة تتعلق بمراقبة نفسها، ومراقبة البنى الخاصة بالمجتمع وكيفية إشتغالها وإعادة إنتاجها في الوجود ، وكذا تعيين الإرتباطات الرخوة والصيرورات الإجتماعية شديدة الإرتباط، وتوضيح طبيعة القرارات وتبعاتها على المستوى النظري والعملي، ناهيك عن البحث عن الشئ ونقيضه في إطار البنية المعيارية للمجتمع ، والتفتيش عن الأشياء المستبعده في إطار الذات كنسق والمجتمع كبناء(٤١).

وإذا كانت النظرية النسقوية تهتم بالأنساق والتواصل أو المعاني التي تحملها عملية الإبلاغ، وكيفية معالجتها وتفسيراتها للإعتلاج، خاصة ما يرتبط بتجديد العناصر المهمة في النسق، والقدرة الخاصة على إتخاذ القرار وإستقلاله بما يتوافق مع الشروط الداخلية ، فان مفهوم الصندوق الأسود Black Box يلعب دورًا مهمًا فيها ، اذ عن طريقه يتم توصيف الحركة الداخلية للنسق وتحليل التشويش وإلارباك والتنبؤ بمخرجاته ، وفض كوامن النسق الباطنية، (٤٢).

وحيث أن نظرية الصندوق الأسود تساهم في الوقوف على ما تقدم، فإنها في المقابل تنفي وجود عملية الربط Ropplung الجامد أو الآلي أو الحسابي بين عمليتي المدخلات والمخرجات، إذ تسلم وحسب بأن النسق يتوجه دائمًا إلى حدود المدخلات ويفضي إلى أحكام بعينها وقت أن تتوافر مدخلات (معلومات) بطريقة شحيحة ، وهو ما يفرض عليه ضرورة توفير التحكم أو التوجيه الإجتماعي أو التغذية المرتجعة Feed back الدائرية أو الدائمة(٤٣).

وحتى يتم تفعيل نظرية الصندوق الأسود، فإنه ينحت ما يسمى بمنهج " الإحتمال المزدوج " الذي يعتمد على تأسيس نموذج يتخذ من المرجعية الذاتية أساسًا عمليًا ومبتكرًا للتحليلات الوظيفية. ولما كان منهج "الإحتمال المزدوج" هو بالأساس نموذج تدويري(" إذا فعلت ما أريد، أفعل أنا ما أريد")، فإن هذا النموذج يتشكل من خلال التصورات التوليدية التي يدفع بها النسق الذاتي في إطار تفسيراته لكل ما يحدث أو يراقبه بداخله أو في إطار المجتمع. وحيث هو كذلك فإنه يتمتع بمجموعة من الصفات، لعل أهمها:

١- أن الإحتمال المزدوج ليس نموذج ما قبل_ ما بعد، بل يتعين من خلاله طرح السؤال الذى من خلاله يتم الكشف عن إشكالية النظام ومتابعة البحث فى كل الشروط التي تؤدي إلى وجوده .

٢- يستند هذا النموذج إلى التوقعات التي ينبغي بنائها أو يسعى إلى تأسيسها، ومن ثم يود تحقيقها.

٣- يسعى هذا النموذج إلى الإجابة على التساؤلات التي تؤدي إلى عدم الإستقرار وكيفية التغلب عليها.

٤- يتوكأ هذا النموذج على مسألة الإحتمال المزدوج الذى يرفض كل مصادر التصورات أو الرجوع إلى الأصل ، وهو مايجعله يرفض نظرية النشوء والإرتقاء.

٥- أن الإحتمال المزدوج يؤمن بأن الإنشطار بين التغير والإصطفاء يحصل بطريقة ما ويحث على تشكل البنى وتغيرها.

٦- يبحث الإحتمال المزدوج عن مكان تواجد الموضوع والتوقعات حتى يمكن انتقاله الى المستقبل.

٧- يتم التمييز في الإحتمال المزدوج بين الثبات والإستقرار، أو التمييز بين البنى والصيرورات.

٨- يعتمد هذا المنهج على إستخراج العام والخاص، والإنعتاق من السياق أو تثبيته أو الإعتماد عليه وإعادة إستعماله أو تغييره.

٩- يستند هذا المنهج على أن البنية أداة معرفية على الدوام، وهو ما يفرض ضرورة السؤال عنها، والبحث عن الوقائع اليومية التي تقع خلف الأفعال والعمليات المستمرة،

وهو ما تستحضره المراقبة التي ما هي إلا نسق يعمل بذاته لكي يعين ماهية ماضوية به، أو يشخص اللحظه الراهنة، أويستشرف المستقبل (٤٤).

إن المدقق فى جماع الأفكار التى قدمها " لومان " يجده قد جاء من أرضية معرفية خاصة تنهل فى جانب منها من علوم الأحياء والنفس والفلسفه ونظرية العمل والتواصل ، بالإضافة إلى استناده إلى مفاهيم ما بعد الحداثة وخاصةً لدى " انتونى جيدنز"، واصطلاحات الحداثة المتأخرة لدى " هابرماس " ، وهو ما نراه جليًا فيما قدماه حول مفهوم التأويل المزدوج والفعل المنعكس والتحليل الاستراتيجى والتواصل الاجتماعى (٤٥).

وبيد أن " لومان " قد أتفق مع كثير من الافكار والنظريات السابقة التى عرفها مسرح علم الاجتماع ، فإنه لاينفك عنها أيضًا فيما يتصل بضرورة أن تمد السوسيولوجيا جسور التعاون مع العلوم الأخرى . وأن تزيل الحواجز المصطنعه بين العلوم لإيجاد التكامل المنهجى بين العلوم كلها ، بغية الوصول إلى نظرية علمية شاملة تنظر إلى الكل فى ضوء الوجود الإنساني.

ولئن كان ذلك هو ما يسميه بسيادة بالمشترك العالمى، الذى يسعى إلى وجود عملية التواصل النشط بعيداً عن القيود أو الهويات الوطنية أو حتى الحواجز الجغرافية التى تفصل الإنسان عن الآخر، فإنه بالتالي يساهم في وجود وسيادة المستقبل الحيوي والعقلاني للبشرية الذي بالأحرى يستند على التواصل والوحدة والبعد عن التجزئة والانقسام، وهو ما يجعلنا بصدد ما يسمى بالمجتمع العالمي الجديد الذي يجسد عملية التنظيم الذاتى والتواصل واستبدال السئ بالحسن، والجديد بالقديم بعيدًا عن عمليات التذرير والتشرذم والتفكيك(٤٦).

وبيد أن عملية التواصل وآلياتها المختلفه تلعب دوراً محورياً فى تعزيز وجود المجتمع العالمى حسب مفهوم " لومان " ، فإنه يشدد أيضًا على ضرورة سيادة مضامين جديدة له لعل أهمها هو وحدة وتماسك وعدم تنابذ هذا المجتمع ، والتميز بين العقول والايكولوجيا والأجساد ، وتفعيل عملية الانعكاس الاتصالى التى تعمل على زيادة عملية اليقين والثقه والوعى الذى بدوره يمتن من عملية التبادل والتفاعل بين الانسان وغيره ونهاية عمليات الإستغلال والإنكار، وهو ما تلعب فيه اللغة دوراً محورياً. فاللغه حسب تصوره تساهم فى سيادة الثقة النشطة بين الناس ، وتعمل بقوه على تدمير الفوارق بين الأجناس ، وتزيد من

المشاركة الوجدانيه والتفكير فى كل المخاطر التى تضرب بقوة في كل جوانب الكرة الأرضية.

وحيث أن ما سبق يساهم في تأسيس ما يسمى "بالمجتمع العالمى النشط" الذى يستند على قيم الحرية والمساواة والتضامن والثقة، تلك التي من خلالها يستطيع تحقيق السعادة البشرية وتذهب بدون رجعة التوترات والتشوهات والثورات والتفاوتات الاقليمية، الحروب والكوارث ، النعرات الوطنية والفوارق العرقيه والدينية ، وبالتالى يسود الحب والعاطفة وتزدهر الهويات الذاتية التي تؤدى فى نهاية الأمر إلى تنمية ما يسمى بالهويه العالميه والبعد عن مفاهيم الأنوية والمركزية والهويه الوطنيه الضيقة والعنصرية.

وقبل أن نختم كلامنا في هذا الموضوع دعونا نقول أن ما قدمه " لومان " من نظرية جديدة، لم تكن كذلك البته، إذ ترجع أصولها إلى اعمال الآباء المؤسسين، وهذا يتوافق مع ما يطرحه حسن مصدق إذ يقول :

" ...نظرية الانساق نظرية اجتماعية تمتح اسسها من أعمال ماكس فيبر، الذى حاول استقراء مكامن العقلنه فى عالمنا الحديث، ووظيفيه تالكون بارسونز الذى حاول دراسة مجالات الفعل الانسانى مقرونه بما تؤديه من أدوار ووظائف ...."(٤٧).

ولكن لا يعني كلامنا السابق، أن النسقوية الجديدة لم تتماهى مع نظرية النسق الكلاسيكية على طول الخط. فعلى الرغم من أن نظرية النسق الاجتماعي الكلاسيكية تقترن بشكل وشيج الفعل الاجتماعي وقيمه التى تعقلنت وباتت بنية دينامية ومستقله بذاتها، فإن " لومان " أراد أن يوسع من امكانياتها ومجالاتها لكى تدخل فى كل شئ ، إذ يرى أن النظم والمعايير لا تتحدد وظيفتها فى إطار مهمه محددة لها سلفاً، إذ تكون معاييرها مرهونه بتحقيق مجموعة من الوظائف والمطالب، التى إن لم تحقق فسوف يحكم على مصيرها بالتوارى والفناء، وهو ما يجعله بهذا الفهم قد حاول أن يغير من معنى النظام الذى جعل الفرد فيه هو البطل الحقيقي، والذى بات فى إطار ديناميكيته هو الظاهرة والموضوع أو الفاعل والمفعول به في آن .

وإضافة إلى ما سبق، يمكننا الدفع أيضًا بأن ركون " لومان " إلى نظرية النسق الحى والاقتران برؤى البيولوجيا ، دفعه ال أستقطاب مفهوم الفعل المنعكس الذى من خلاله حاول فهم الانسان على الصعيدين المحلى والعالمى. ولئن كان " لومان " يتماهى مع مفاهيم النسق الحى، فإنه يكون أيضاً قد اهتم بالصورة الكلية لدراسة السلوك البشري الحى فى إطار

تفاعله مع الآخر، ذلك الذي سمح له باستدعاء مفاهيم التفاعل التواصلى والمعارف أو المعلومات والاخبار المكتسبة فى العالم المعاش، وجعله بالأحرى يقترب من " هوسرل " الذى اهتم بدراسة الخبرات الخاصة والثقافية للعوالم الخاصه والتى تدخل مع الآخر فى إطار بيئات مختلفة.

ومع أن مفهوم التواصل لدى " لومان " يرتبط بوضوح بأفكار "هوسرل" خاصةً ما يتصل بالدال والمدلول وليس بأفكار هابرماس ، لذا نجده يستبدل مفهوم الدليل والعبارة بمفهوم الخبر والمعلومة، حيث تكون لديه العباره أسبق من الدليل، وهو ما جعله يسحب الدلالة إلى مرتبة دنيا ، ويقدم الخبر والمعنى عليها ، ومن ثم يستعيض عنها بالاختلاف الذى هو بمثابة لامركزة للأنا والمعنى والوجود ، وهو ما جعله يرى أن عملية التواصل ما هى إلا عملية أخبار المعنى. وإذ هى كذلك، فهى عملية مزدوجة تحمل فى طياتها الإرسال والاستقبال، الذى هو للمعلومة والخبر فى إطار انطولوجيته.

وتتميمًا لما تقدم، يمكن القول أن إهتمام " لومان " بعملية التواصل مع الأخر، جعله يعتمد بصورة اساسية على نظام المعيشه التى هى وفقًا لأفكاره شبكه من التفاعلات بين الفاعلين الذين يؤدون أدوارًا مهمة فى دورات الحياة، ذلك ما يجعل المجتمع لا يؤدى وظيفه تطورية للحياة، بل من هم على قيد الحياة، أو على حد تعبيره أن التفاعلات لا تحدث بين الأموات، وانما تتم فى إطار التنظيم الذاتى للسياقات القائمة.

المراجع:

(*) يعتبر أومبرتوماتورانا من المهتمين بإيجاد نظرية بيولوجية تعمل بقوة على إعادة إنتاج الحياة إعتماد على مفهوم التكوين الذاتي Autopies أو إعادة إنتاج الحياة بطريقة ذاتية، إذ تلعب فيها العناصر الخاصة بالنسق الحي دورًا ومحوريًا في مراقبة الذات لذاتها بطريقة ميكانيكية. راجع في ذلك:

Broun S.G., Laws of form, Jalian, N.y,1972.

١- اريك فروم، فن الاصغاء، ترجمة محمود منقذ الهاشمى، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤، ص ١٤- ١٥.وايضا:

Maturana R., Biology of Language : the Epistemology of Reality : in G. Miller , Elenneberg (eds) , Psychology and Biology of Language and though , Academic Press , N.W., PP.27-63.

2- Maturana R., Ontology of Observing : the biological Foundational of self. Comsciousness and the physical doman of existence , American society for Cybernetics Conference , 18- 23, oct .1988.

and too : Francisco V. Autopoisis and Cognition , New Science Library , Poston , 1984.

3- Luhmann N ., "the Autopoisis of Social Systems paradoxes" : Observation , Control and Evolution of Social Systems , Sage , London , 1986 , PP. 92- 94.

٤- نيكلاس لومان، مدخل إلى نظرية الأنساق، ترجمة يوسف فهمي حجازي، منشورات الجمل، ط١، كولونيا (ألمانيا)- بغداد، ٢٠١٠، ص ١٢.

5- Leydesdorff L., the Production of Probabilistic Entropy in Structure action Contingency Relation , Journal of Social and Evolutionary Systems , No .18 , 1995 , PP 339-341.

6- Leydesdorff L , the Challenge of Scient. ometrics : the Development , Measurement , and self. Organization of Scientific Communication, Leiden Unvi Press 1995.

7- Leydesdorff L, Luhmann's Sociology Theory ; "Social Science Information" , No. 35 , Dswo Press , 1996 , P .283.

8- Leydesdorff L., the New Communication Regime of Univ. Industry Government Relation , in: H.Ezkowitz and Leydesdorff L., (eds) Univ. and Global Knowledge Economy, Cassel Academic, London , 1997 , PP. 106 – 107.

٩- كلثوم زنينة،مبدأ التواصل فى مرجعية الادب الرقمى بين التكنولوجيا والفكر الفلسفى ، مقاليد (مجلة) ، العدد الثالث ، ديسمبر ٢٠١٢، ص١٦٤.

١٠- نيكلاس لومان، مدخل إلى نظرية الأنساق ....، مرجع سابق ، ص ص١٠٢-١٠٤.

11- Leydesdorff L., the Non-Linear Dynamic of Sociological Reflections , International Sociology , N.12, 1997 , PP. 25 – 27.

12- Luhmann L ., the autopoiesis of Social Systems .., OP. cit , P. 1972.

13- Luhmann L ., the Cognitive Program of Constr Activism and Reality that Remains unknown , Portrait of Scientific Revolution , Kluwer , 1990 , PP. 64 -65.

14- Luhmann L .,"Organization", in : Bakken T. and Hernest (eds) , Outopoietic Organization theory , Copenhagen Business School Press , 2003 , P. 48.

15- krippendorff K., "A Recursive theory of Communication" , in : Crowley D and Mitchell D., (eds) Communication theory Today , Polity Press. Cambridge 1994, PP. 78-79.

16- Latour B., The Politics of Explanation : An Alternative , in : Woolgar S. and Ashmoare M.(eds) Knowledge and Reflexivity , Sage , London , 1988 , P. 155.

17- Whitley R., The Intellectual and Social org. anization of the Sciences , Oxford univ. Press , 1984 , P. 13.

وأيضًا:

-Lazarsfeld P., and Henery N., Latent Structure analysis , Houghton Mifflin , N.W, 1968.

١٨- نيكلاس لومان، مدخل إلى نظرية الأنساق..... مرجع سابق، ص٧٥و ص٧٨.

١٩- المرجع نفسه، ص ٥.

٢٠- المرجع نفسه، ص١١٥، ص٣٣٤ ،ص٨٥.

٢١- المرجع نفسه، ص٨.

٢٢- المرجع نفسه، ص٣٣٢، ص١٢٥.

٢٣- المرجع نفسه، ص١٢٨،ص١٣٨.

(**) تعتمد عقلانية التواصل لدى لومان على سيولة المعلومات، والتي من خلالها تكون الإدارة المحورية هى القادرة على تفعيل القدرة على إتخاذ القرارات والتنوع والإبداع والحريةواستنساخ الإنسان.

راجع في ذلك: نيكلاس لومان، مدخل إلى نظرية الأنساق.... مرجع سابق، ص٢١٨.

٢٥-المرجع نفسه، ص١٤٧ ، ص ١٥٦.

٢٦-المرجع نفسه، ص٢٠٨.

(***)تعود كلمة الأنتروبيا الى الأصول الإغريقية، وتشير إلى معنى التحول، وعربيًا يشار إليها بالإعتلاجCutropie . وقد عرفت هذه الكلمة كمفهوم من خلال مجالي الفيزياء والكمياء وخاصة في إطار قوانين التحريك الحراري في الغازات والسوائل وخاصة الأنظمة الكبيرة التي تتكون من جزيئات بالغة الأعداد يتم عملها بطريقة تلقائية. وبإعتبار أن العمل في هذه الأنظمة المغلقة يحدث بشكل تلقائي، فإنها تقوم بتحويل الطاقة الحرارية إلى شغل ميكانيكي من شأنه أن يجدد من كفاءة الآلات والأجهزة في داخله. حول هذا المعنى راجع:

- Maruyama M., The Scond Cyberueticsi Deviation_ Amplifying Multual Causal Processes, American Scientist, No.51,pp.166-167.

- http://ar.wikipedia.org

(****) السيبرانيطيقا أو السيرانية هي علم الضبط، أو هي علم الدراسة المقارنة لنظم السيطرة الآلية والإتصال في الجهاز العصبي والدماغ وكذا في الميكانيكا والأجهزة الكهربائية. أ و بقول آخر إنها التحكم في النظم والربط بين عناصرها وفق علاقات تبادلية إرتدادية أو دورية.

٢٧-نيكلاس لومان ، مدخل الى .....، مرجع سابق ، ص٦٠.

٢٨-المرجع نفسه، ص٢٤١.

٢٩-بشير بوطيب، مفهوم التواصل في الفلسفة: من الحقيقة إلى الإختلاف هابرماس ولومان ، في: www.aljabriased.net

٣٠- نيكلاس لومان ، مدخل الى .....،مرجع سابق ، ص١٠١،ص,١٧٤

٣١-المرجع نفسه، ص١١٠، ص١١٢.

٣٢-المرجع نفسه، ص٢٢٢، ص٣٠٤.

٣٣-المرجع نفسه، ص٢٩٠.

٣٤-المرجع نفسه، ص٣٠٥،ص٣٤١.

٣٥-المرجع نفسه، ص,٣٥١

36-Lazarsfeld P., and Henry N ., Latent Structure analysis , Houghton Mifflin , N.Y., 1968, pp.21-22.

٣٧-حول مفهوم الجينالوجيا راجع :
- وليد عثمان، الجينالوجيا: المقولة والمصطلح، في : محمد شوقي الزين (مشرفًا)، جاك دريدا... ماذا عن الحدث والتفكيك والخطاب ، منشورات الإختلاف ، دار الفارابي ، الطبعة الأولى ، الجزائر، ٢٠١١
- ميشيل فوكو ، جينالوجيا المعرفة ، ترجمة احمد السطاتى وعبد السلام بنعبد العالى ، دار توبقال ،الطبعة الثانية، الرباط ، المغرب ،٢٠٠٨.
- شحاته صيام ، سوسيولوجيا ما بعد الحداثه ، مصر العربيه للنشر والتوزيع ، الطبعه الأولى، القاهرة، ٢٠٠٩

38-Lydesdorff L., The Evolution of Communication Systems, Systems Research and Information Science, No .6,P 1994 , P 219.

٣٩- شحاته صيام، سوسيولوجيا ما بعد الحداثه، مصر العربيه للنشر والتوزيع، الطبعه الأولى، القاهرة، ٢٠٠٩ (الفصل الرابع).

٤٠-رشيد بوطيب، جينالوجيا ما بعد الحداثه، فى : www.Ofoug.com

و راجع أيضا: Giddens A.,The Rules of Sociology Method , Hutchinson , London , 1976.

(*****) نظرية الإجماع عند هابرماس تمايز بين الأنظمة التي تأتي نتيجة لتجارب ومعلومات وأفعال بين الخطاب التي تتطلب الدليل على صدق ما تدعيه. وحيث هي كذلك فإنها تنادي بضرورة وجود إدعاءات صحيحة للحقيقة باعتبارها تدخل في أضمومة الخطاب، لذا نجدها تفرق بين هذه الحقائق التي تدخل في إطار الخطاب الإستدلالي والتي تأتي من غيره، وهو ما جعله يفرق بين الموضوعية والحقيقة خاصة وأنه يعتبر أن الموضوعية مرتبطة بسياق التجربة والإدراك الحسي، وأن الحقيقة تتشح بالأفكار. وحيث أنه يربط الحقيقة بالعقل إذ يكون المرجعية الأخيرة للمفكرين والممارسين في الحياة اليومية، وبالتالي فهو يرفض ما تفرزه العلوم الميتافيزيقية. فالحقيقة لديه لا تتأسس انطولوجية ولا عن ما تهبه التجربة من حقائق، وإنما تأتي من خلال العقل.

٤١-نيكلاس لومان ، مدخل الى .....،مرجع سابق ،ص٤٢١.

42-Sigler A., Acyberntic Model of the Judicial system,Temple Law Quarterly, No.41,1968,pp.398-399.

43-Easton D.The Political system: An Inquiry into the Stat Political scienele, Rnopf,N.y.,1953.

٤٤-نيكلاس لومان، مدخل إلى نظرية الأنساق..... مرجع سابق، ص٣٩٦، ص٤٠٠، ص٤١١.

٤٥-راجع فى ذلك :

Giddens A., Central Problem in Social Theory , Macmillan , London , 1979.

٤٦-انظر حول هذه الافكار :

شحاته صيام، النظريه الاجتماعيه من المرحلة الكلاسيكيه إلى ما بعد الحداثة، مصر العربيه للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهره، ٢٠٠٧ .

وأيضاً راجع : Giddens A., The Constitution of Society, Polity Press ,London, 1984.

٤٧-حسن مصدق، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت – النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي، بيروت – الدار البيضاء، ٢٠٠٥.